

صاحب الجلالة يفتتح
الدورة الأولى للسنة التشريعية الجديدة

ترأس صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني افتتاح الدورة الأولى من السنة التشريعية . وبهذه المناسبة ألقى العاهل الكريم خطابا ساميا تطرق فيه جلالته الى أزمة الخليج والصحراء المغربية والقانون المالي :

الحمد لله ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

حضرات السادة

إن الخطاب الذي سأوجهه إليكم اليوم يختلف اختلافا كبيرا عما سبقه من الخطب ، ذلك أننا ونحن نتداول مشاكلنا ومصالحنا وقضايانا ، فإن هذا لا يمنعنا من أن نكون عضوا عاملا في أسرتنا الكبرى الأسرة العربية التي هي أكبر منها الأسرة الإسلامية .

فمن الواجب علينا ومما أعده فرض عين أن يتداول كل مسلم وكل عربي مشاكل إخوانه كانوا في الشرق أو الغرب أو في الشمال أو في الجنوب .

كلكم تعلمون المأساة التي تعيشها أسرتنا . ذلك لأنني لي اليقين كما هو يقينكم أننا منذ نعومة أظافرنا ومهما تقلب علينا من الأحداث لم نر ولم نشاهد كما هو اليوم الخلاف محتدما بين جميع أطراف هذه الأسرة . بل صار بنا الخلاف وصارت بنا الخلافات حتى أنه في التجمعات الجهوية أو الإقليمية التي كنا نعتقد أنها ستصبح بمثابة الإسمنت للجامعة العربية ظهر هذا التصدع وهذا التباين في الرأي وهذا التباين في المواقف . والأخطر من ذلك وذاك أن هذه الحالة التي نعيشها جاءت في إبان لم نكن ننتظره بل كنا ننتظر أن العرب سيأخذون ولله الحمد حظهم من هذا الاستبشار العالمي الذي أصبح يسود الشرق والغرب . كنا نأمل أننا سنجد المجال لنفسح لعبقريتنا وتعدديتنا في اللغات وفي الأجناس وفي القارات أن نفسح لنا ولمن سيخلفنا من أبنائنا المجال اللائق بنا . . المجال الصالح ، لأن نسبح ونحلم ونعمل ونخلق ونبدع .

وكم كانت هذه الخيبة حينما رأينا وحينما نرى أنه في الوقت الذي يفكر فيه الكل في التجمع وفي الاتحاد وفي التعاون المثمر لا نفعل نفس الشيء نحن الذين هم أبناء لغة واحدة ، لغة الضاد ، تلك اللغة التي أرادها الله سبحانه وتعالى لكتابه العظيم تلك اللغة التي إن دلت على شيء فإنها تدل على حيوية من يتكلم بها ، حيث أننا نتكلم كما تكلم آباؤنا وأجدادنا منذ أحقاب وقرون وتجمعنا اللغة والدين والدم وجمعتنا المصائب وجمعتنا كذلك الملاحم وجمعتنا الشكوك وجمعتنا الأحلام والآمال وجمعنا كذلك ما حققناه من أمجاد ومن استقلالات ومن تحريرات ومن إرجاع للدول كامل السيادات فما هو واقع يا ترى في منطقة الشرق .

كما تعلمون حضرات السادة حينما يكون لي الإفتخار والإعتزاز بالحضور في مجلسكم الموقر هذا حينما أقول الإفتخار والإعتزاز أقول افتخار المواطن واعتزاز الأب المسؤول بالجميع . . جميع الهيئات كيفما كانت اتجاهاتها السياسية أو الفكرية حينما أحضر بينكم أحاول أن أتناول موضوعا لاأقول لكم نظري فيه دون أن يكون ذلك بمثابة برنامج أو بمثابة تخطيط بل تكون في غالب الأحيان أفكارا وتخمينات لكم أن تأخذوا منها ما ترون ولكم وأن تؤجلوا منها ما ترون ولكم أن تتركوا منها نهائيا ما ترون . فالشيء الذي



سأقوله لكم موجزا كيف أرى قضية الشرق الأوسط أريد منكم أن لا تعتبروه مخططا ولا برنامجا مفصلا لحل مشكل أو لفض خلاف. فما هو إلا وصف نزيه محايد لما أراه ولما أعتقد أنه موجود من وراء الستار الأول والستار الثاني والستار الثالث.

حينما وقع احتلال الكويت من طرف العراق كان موقفنا واضحا ولا غبار عليه.. موقف يجعل المغرب لا ينحاز لهذا ولا لذاك، إن المغرب يتفهم مشاكل العراق ويتفهم مطالب العراق ولكن المغرب كما كان دائما لا يعتبر أن اكتساح السيادات أو استعمال القوة من شأنه أن يكون منبعا لأي حل سياسي دائم وكان موقفنا انذاك ظاهرا وواضحا رغم ما قيل عنه أو كتب عنه.

ولكن حينما أرسلنا مبعوثا خاصا الى فخامة الرئيس صدام حسين أعرب هذا الأخير لمبعوثنا بحرارة وحماس على أن التقدير الذي يكنه لملك المغرب هو التقدير الذي كان وأن الصداقة التي جمعتنا بالماضي هي الصداقة التي تجمعنا الآن. ومن طرفي كذلك أؤكد هذه العواطف وأقول إن احترامي للسيد صدام لا زال قائما ولا زالت صداقتي معه قائمة. ومن ثمة ويا للأسف عوض أن تبقى المذاكرة عن الرجوع للشرعية ثم مناقشة المطالب حتى يمكن أن يفرز منها ما هو مشروع وما هو مرغوب فيه وما هو ليس له أساس «أصبحت الصحف والإذاعات كل واحدة تزيد الزيت على الجمر. تقف بجانب هذا وتقف بجانب ذاك». ومما يؤسف أننا كنا نود أن تبقى هذه الانحيازات في أعلى مستوى أي في المستوى الحكومي وفي مستوى رؤساء الدول لكن مع الأسف ولكن لكل أحد حريته في بعض الأحيان، نزل الشعب للشارع وأخذ الشعب في هذا البلد أو ذاك - وهو الشعب الذي من واجبه أن يربط بيننا حين نختلف - يقف في الشارع وبالشعارات مع هذا ضد هذا والعكس بالعكس والحالة هذه أننا حينما نختلف نحن الرؤساء من هو ملجؤنا وما هي محكمة الاستئناف بالنسبة لنا؟ إنها أسرتنا الكبيرة أي شعوبنا التي تقول «الله يلعن الشيطان».

وأنتم تعلمون أن هذه الظواهر في الشرق مع الاسف عندها أهمية كبيرة فالراديو والصحف لها - والعياذ بالله - وقع في النفوس أكثر من الحسام وأكثر من الرماح.

وأصبح البعض يقول لماذا استدعت المملكة السعودية القوات الاجنبية ولماذا أتت هذه القوات ولماذا كذا ولماذا كذا.

هذا لم يكن من شأنه أن ينقص من الحرارة ولا أن ينقص من التوتر، وان كان لكل بلد حر ذي سيادة الحق في أن يستغيث بمن أراد، ومرارا سمعتموني أقولها وسمعتها منكم وسمعتها من شعبي لأن أذني على فم شعبي أنه بالنسبة لحماية الوطن يمكن للإنسان أن يتعامل حتى مع الشيطان وبدت الأمور تضخم وتدخلت هيأة الأمم المتحدة ومجلس الأمن وتقرر إرسال القوات المتعددة الجنسية وتقرر الحظر والحصار وأصبحنا اليوم نعيش أمام تيارين تيار يقول لابد من الحرب حتى ننهي هذه المشكلة وحتى نقلع هذه الشوكة التي ستبقى مسددة نحونا ونعني بهذا دول الخليج ولها الحق في أن تتخوف ومن حقها أن تتخوف.

وهناك من يقول يجب أن نعمل من أجل الحل السلمي لأنه سيوفر علينا عدة مشاكل ومتاعب.

أقول شخصيا أنا ليس لي اختيار في هذا الباب. ولكن إذا كان عندي ميل فأعتقد أن الحرب مثل الكي هي آخر الدواء فما هي أبعاد الحرب؟ إن أبعاد الحرب هو أنها لن تقتصر على ساحة القتال الجغرافي. فالحسابات في الشرق الأوسط كثيرة جدا بين الدول وبين الأحزاب وبين الطوائف الدينية وبين السلالات.

فإذا كانت هناك حرب فستصبح بمثابة الفتيل الذي سيسمح لكل واحد بأن يصفي حساباته مع الآخر. فلن يمكننا أن نجعلها حربا محدودة الأهداف. والى جانب ذلك ستتخذها إسرائيل سببا وذريعة لتخلط الجميع ولتحارب من ربما رفع الرأس أو أظهر أنه ذو شوكة واذا كانت الخسائر ستقع



بالجيوش الأمريكية والفرنسية والإنجليزية والأخرى فإنها ستقع في الرجال والعتاد فقط . أما بالنسبة للعرب فستقع في الرجال والعتاد والمنشآت والأرض والمدن والقرى والمصانع والحقول سواء الفلاحية أو النفطية وستخرج الجيوش من هناك ولكن سيبقى لمدة عشرين أو ثلاثين سنة الرماد المترتب عن ذلك التدمير وعن تلك الحرب .

ما هي الناحية الجاذبة للحل السلمي؟ بالطبع كل حل سلمي ذو جاذبية وليتحقق الحل السلمي أولا لابد أن ترجع الأمور الى ما كانت عليه . فلابد للعراق أن يرجع الى حدوده وأن ترجع المشروعية الى الكويت وآنذاك يمكن إما عربيا أو إسلاميا أو دوليا على حسب اختيار المتحاربين أن يتفقا على لجنة قضاة أو حكام أو حكماء للنظر في أسباب هذه الحرب ولخلق المناخ للمستقبل وللحد من التوتر ولإعطاء كل ذي حق حقه ولخلق علاقات متميزة وطيدة جدا بين كل من العراق والكويت . أما غير هذا فيجب علينا أن نكون واقعيين . فنحن نعلم أن خصوم العراق ليسوا في الدول العربية فحسب بل هم خارج الدول العربية ولكن أكثر الناس عداء للعراق بعض الدول العربية وتلك الدول العربية هي التي تزيد في الطين بلة وهي التي ستصبح لا قدر الله هدفا آخر لأن ينقض عليها أي أحد أعتقد أن مصالحه قد هددت . فمن هنا أقول لصديقي فخامة الرئيس صدام حسين لا تنسى أن الكويت والعراق والمنطقة التي يقعان فيها يمثلون تقريبا ثلثي احتياطات الطاقة في العالم . هذا يجب أن يعلمه .

فهداك الله ، أخرج من هذه الورطة من الباب الواسع ومن باب الشرف . ها أنت قد ربطت بين المشكل وبين مصير القضية العربية الإسرائيلية ويكفيك أن الضمير العالمي قد استيقظ ، ويكفيك أنه حتى الذين كانوا لا يقبلون بالمؤتمر الدولي يقولون به اليوم صباح مساء . أما إذا أنت ربطت زمنيا يا أخي صدام خروجك من الكويت بحل المشكلة العربية الإسرائيلية فستكون قد أقبرت القضية العربية الاسرائيلية إلى ما لانهاية له . أطلب منا جميعا ، أطلب من أصدقائك وخصومك ، أطلب من النصارى ومن المسلمين ومن اليهود أطلب من جميع الأجناس في جميع القارات ، أطلب منهم التزاما أدبيا . إلتزام فضيلة كلمة شرف . ميثاق شرف ، إنه بمجرد ما يشرع في حل قضية الكويت والعراق سيشرع في النظر في قضية العرب و إسرائيل . لابد بينهما أن يكون الارتباط الأدبي والمعنوي . ارتباط الفضيلة وارتباط المساواة ، لماذا تجند مجلس الأمن في ظرف 15 يوما في قضية الكويت والعراق ولماذا ظل الرأي العام العالمي نائما منذ أربعين سنة على جميع المقررات التي هي في صالح الفلسطينيين والأمة العربية ، فأرجوك أرجوك يا أخي صدام ، أرجوك أن لا تربط هاته بتلك زمنيا ، فيكفيك وقد نجحت في هذا أنك ربطت بينهما خلقيا ومعنويا ومنهجيا ، ووفر علينا كارثة الحرب ، واترك أولادنا يلعبون كل صباح ، ويرتعون كإخوانهم في العالم ، اترك شبابنا يتطلع الى عالم لم يبق فيه لا شرق ولا غرب ولا منهجية تحارب منهجية ولا إيديولوجية تحارب إيديولوجية ، اترك شبابنا ورجالنا ونساءنا وأطفالنا يحلمون بغد كله اجتهاد وجهاد لغد العمل والتكنولوجية والأخوة والتآخي .

أما من جهة أخرى ، فمن العدل والإنصاف فيما إذا نحن اتجهنا الى الحل السلمي أن تطلب المملكة العربية السعودية ودول الخليج أن تتخذ ما تراه في صالحها بكل حرية وأن تتوفر على الضمانات المادية والمعنوية للحفاظ على سلامتها وللعمل على ألا يتكرر مثل هذا الامر .

هذا حضرات السادة ، كما قلت لكم ليس برنامجا ولا مخططا ، بل هذا ما أفكر فيه كمواطن عربي وهذا حظي كما يجب أن يكون لكل واحد منكم حظ واجتهاد لأنها أسرتنا الكبرى ونحن الأسرة الصغرى للأمة العربية . فمن التقاعس والخذلان ألا نحاول وألا نجتهد . و إذا كان في كلمتي هذه ما نال ربما من حساسية بعض الإخوان الملوك أو الرؤساء في الدول العربية أو ربما أساؤوا فهم ما قلته فمسبقا أطلب لهم المعذرة . وأقول لهم أنا لست منحازا ، وأنا منحاز للحق والمشروعية ومنحاز كذلك للبحث عن السلام لا للبحث عن الاستسلام .



ومن مصلحة العراق أن تفهم أنه إذا كانت هنـاك حرب ستكون هي الخاسرة عسكريا وهذا شيء أراه أمامي كأنـه اليوم. بعد الاستسـلام ستصبح حماية دوليـة على العراق بكيفية وبأخرى إما في شكل انتداب كما كان على سوريـا ولبنان أو في شكل حماية أو في شكل نزع أو تقليص لسلاح الـدولة العراقية لمدة سنوات وسنـوات، هكذا أرى المسألة بحيث أرجـو الله سبحانـه وتعالى أن يهدينا كلنـا وأن يجعلنا فاقدي الـذاكرة وأرجو منه سبحـانه وتعالى حينما تنقشع هذه السحابـة أن ننساها لأن تذكـرها ليس فيه أدنى مصلحة ولا نقير قطمير من المصلحة لا لنا ولا لمن سيخلفنا.

ولكن علينـا أن نعلم أنه كيفما كـانت الخاتمة حربـا أو سلما سنصبح كالعـالم بأسره لمدة طويلـة، وبالأخص من الناحية الاقتصادية، نؤرخ بما قبل الثاني غشت 1990 وبما بعد ثاني غشت 1990 لأن المقاييس تغيرت والناس شعروا بأخطار أخرى والأزمة تركزت.

فـالدول غير العـربيـة ربما ستؤرخ لما قبل غشت ومـا بعـد غشت لمدة عشر سنين هذا اعتقـادي شخصيا. أما الـدول العربية فأخشى أن تبقى تؤرخ بما قبل غشت وما بعد غشت بـالعقود إما بعشرين أو ثلاثين سنة. وهذا يرجع بنا الى مشاكلنا في الداخل.

عليكم أن تعلموا حضرات السادة أن القانـون المالي سيعرض عليكم في القريب وأن الحالة ليست مرتبطة بالمغرب فقط بل هي حالة تغطي الدول كلها كبيرها ومتوسطها وصغيرها فأريد منكم أن تأخذوا بعين الإعتبار هذه العناصر التي هي خارجة عن كل مذهب أو كل حزب أو كل تفكير.

هـذه حقائق نـزلت علينا نعيشهـا كما يعيشها العـالم كله. وليس معنى هـذا أننا سـوف لانعمل للتغلب عليها بل ولكن كما أقول أن اللـه سبحانه وتعالى أعطانـا أكبر رزق يمكنه أن يعطيه لشعب.. أعطانـا الاكتفاء الـذاتي الفكري.. والحمد للـه المغربي ليس متخلفا فـالمغربي دائما يبحث عن ضـالته المنشودة ويبحث عن الحقيقة ويبحث عن العمل ويبحث عن الإنتاج. فقد أعطانا الله سبحانه وتعالى الاكتفاء الـذاتي الفكري والبشري وسيعطينا في القـريب الاكتفاء الذاتي في مأكلنا ومنتـوجاتنا الفـلاحية وسنبحث إن شاء الله عن الإكتفاء الذاتي فيما يخص الطاقة.

وسأرفع إلى البرلمان بعـد قليل التقريـر الذي وصلني من خبراء حـول الحجر النفطي بـرؤية اليـوم ليتدارس هذا الموضوع، ويمكنني أن أقول لكم إنه مليء بـالبشائر وأننا إذا سرنا على مخططه سيمكننا في ثلاث أو أربع سنوات أن نحقق الاكتفاء الذاتي من ناحية الطاقة.

لماذا؟ لأن برميل النفط الحجري الـذي سيكلف تقريبا ما بين 24 و 25 دولار سيكون صالحا لنا للاستهلاك بحيث ليس فيه خسران. بالطبع إذا نحن بدأنا في ترويجه قصد بيعه سنخسر فيه لأن الربح فيه لن يكون كبيرا. ولكن إذا نحن لم ننتج غير الخمسة ملايين من الاطنـان الكافية لنا فسنكون رابحين بكثير فيما يخص ثمن البرميل الذي يناهز اليوم الاربعين دولارا.

ولا أظن أن البرميل سينزل تحت 30 أو 35 دولار. وهذا التقرير أعتبره بشارة تهم الجميع وسنوزعه على جميع الأعضـاء وليس على الفرق فقط حتـى يمكنهم تدارسـه وبحثـه وحتى يروا بأنفسهـم معنـا أن المستقبل ولله الحمد فيه شيء ما من اليناعة وشيء ما من الألوان الداعية للاستبشار والتفاؤل..

قبل أن أختتم هذه الجلسة حضرات السادة، أريد أن أذكركم بشيء واحد هو أن الدستور واضح والدستور يوليكم مسؤوليات. ولستم في حاجة إلى التساؤل في تناول مسؤولياتكم.

لقد تتبعتم كما تتبع المغاربـة كلهم النقاش الحاد والنافع والمثري الـذي جرى بينكم حينما طرحتم ملتمسا للرقابة. والدستور يقول لكم إنه يمكنكم أن تطرحـوا ملتمسا للرقابة يوميا إذا أردتم. فالغريب ليس هو أنكم طرحتموه في الدورة الماضية بل هو أنكم لم تطرحوه إلامرتين في حياة هذا البرلمان.

فأنا أيضا أريد أن أسمع أن حكومتي في وضع حرج شيئا ما.

وأريـد أن أرى حكومتي تفكـر في الليل في كيفية الـرد على فلان لأنهم إذا كـانوا هنـا فليس لأنهم



أحسن منكم . فلا فرق بين عجمي وعربي ولا فرق بين الجالس في هذه الجهة أو في الوسط أو في جهة أخرى . كلكم أبناء هذا الوطن ، وكلكم برهنتم عن تشبثكم بهذا الوطن ، لكن الظروف جعلت أن يكون فلان هنا والآخر هناك . ولكن أقول لكم إن المغاربة بالنسبة لي كلهم سواسية من قال لا اله إلا الله ومحمد رسول الله وزاد الصحراء مغربية ، فهو بالنسبة لي مغربي ، والذي ما زال مصرا على القول بأن الصحراء ليست مغربية ولو تقوم قيامة جميع الهيئات الدولية لمناصرة فلان وفلان بالله الذي لا إله إلا هو لا أنا ولا أنتم سنسمع منه شيئا .

وعلى ذكر الصحراء ـ وسيكون ختامنا مسكا ـ لقد تلقيت جواب الأمين العام على التقرير الذي وجهه إلي . وقد أعطيت أوامري ليوزع تقريرنا ومذكرتنا وموقفنا القانوني بحججه وناه وفاه ابتداء من الغد أو يوم الإثنين إن شاء الله ويمكن للرئاسة أن تعطيه إما للأحزاب أو الفرق أو الأشخاص كما تريدون . وسوف ترون أننا ولله الحمد وجريا على عادتنا واحتراما لروح آبائنا كلنا وأجدادنا كلنا ولشعبنا القديم والحديث في آن واحد ولتاريخنا المجيد «ما فرطنا في الكتاب من شيء» ونستسمح ربنا وأن موقفنا ولله الحمد هو الموقف المبني على المصداقية القانونية وعلى الحجج التاريخية والبشرية وقبل كل شيء على نبذ الروح التوسعية فلا نريد إلا مالنا لإسعادنا وإسعاد من حولنا .

والله سبحانه وتعالى يقوينا جميعا ويلهمنا حسن الرأي وسديد الاختيار لأن العالم العربي والمغرب لم يكونا أحوج من اليوم الى الرأي السديد والعمل الحكيم والاختيار الملائم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

21ربيع الاول 1411 (12 اكتوبر 1990)